

الفارس ذو القلب الحديدي (من الأدب العالمي)

وسط الغابات الكثيفة كانت المدينة الصغيرة تجاهد أن تستمر في الحياة، وكان حنا سعيداً بحياته، كان حداداً أعطاه أعطاه الله جسماً عملاقاً وقوة وافرة وقلباً يفيض بالطيبة.

كانت الغابات التي تحيط بالمدينة لا تصلح للزراعة، لكن سكان المدينة كانوا صناعاً مهرة فكانوا يستبدلون منتجاتهم مع المدن القريبة بما يحتاجونه من دقيق وزيت وسكر وغيره من الضروريات. كان الناس يحبون حنا الحداد ويعيشون معاً في سلام لا تعكره إلا بعض الحوادث المؤسفة! فمن وقت إلى آخر كان يظهر أحد الوحوش الضارية في الغابة، وما كان الناس يعلمون بقدمها إلا إذا اختفى أحد الرعاة أو ذهب أحد الشباب للصيد ولم يعد، فلم يكن لهذه الوحوش صوت أو زئير يسمع!

كانت هذه الهجمات المفاجئة تسبب ارتباكاً في حياة المدينة لبضعة أيام تتوقف فيها رحلات التجار الذين يجلبون المؤن إلى المدينة، ولكن سرعان ما تعود الحياة إلى سيرتها الأولى. كانت هذه الحوادث قدراً محتوماً، هكذا اعتبرها الناس.

وفي الربيع بينما الرياح تحمل إلى المدينة أريج الزهور البرية، حمل التجار أنباءً مثيرة للقلق، فقد كثرت الشائعات عن هجمات متكررة للوحوش قرب المدن المجاورة. وسرعان ما تحولت الشائعات إلى حقيقة. فمن قافلة تضم عشرين رجلاً، وصل إلى المدينة رجل واحد مثخن بالجراح ليروي القصة المروعة عن الوحوش التي هاجمتهم في صمت ومزقتهم في صمت!

تجمع الناس في قاعة المدينة يلتسمون حلاً. فقد مكثت الوحوش هذه المرة في الغابة المحيطة ولم ترحل كعادتها، وكل من جازف بالخروج انقطعت أخباره.

ماذا نفعل؟ إن ما بالمدينة من مؤن لن يكفي عائلاتنا أكثر من أسابيع قليلة!

- لا بد أن نقاتل الوحوش، هذا هو الحل الوحيد

التفت الناس إلى صاحب الاقتراح، فإذ به صديقهم العجوز الذي انخرط سنياً في جيش الملك ثم عاد بعد أن تقدمت به السن ليعيش بينهم.

- ولكننا لانعرف القتال!

- سأعلمكم

أعد المحارب العجوز ساحة للتدريب وسط المدينة وصنع الشباب بارشاده نماذج ضخمة من القش للوحوش، واختار الرجل عدداً من أقوى شباب المدينة ليتدربوا على القتال. ومن اليوم الأول بدأ تفوق حنا الحداد واضحاً، فإلى جانب قوته الهائلة، حباه الله مرونة وخفة حركة، فكان ينطلق على ظهر جواده كالصاعقة مطيحاً بسيفه رؤوس الوحوش المصنوعة من القش، وكان الحداد سعيداً بما اكتشف في نفسه من مواهب.

استدعى المحارب العجوز حنا ليخبره بأن تدريبه قد اكتمل

- ماذا تعني؟ تساءل حنا

- أن وقت خروجك للقتال قد حان

- أخرج! إلى أين؟ إلى الوحوش!

- تماماً

- دعني أبقى لأساعدك في تدريب الباقين

- إن الغرض من التدريب هو أن تكون صالحاً للقتال، استعد للخروج غداً

رقد حنا وقد جافاه النوم وسيطرت على ذهنه صورة الوحوش الرهيبة وهي تنقض في صمت، وكلما غلبه النوم شعر بجسده يتمزق تحت الأنياب المخيفة، فيسنيقظ فزعاً. وفي الصباح أخبروا المحارب العجوز أن الحداد مريض، فذهب لزيارته

- حنا لقد اكتمل تدريبك ولا بد من خروجك
- لن أخرج، فسوف يشلني الخوف أمام أول وحش ألقاه فيلتهمني
- لا تخف فعندي الحل، سألقنك كلمة سحرية متى رددتها تقف أمامك الوحوش عاجزة
- هل تثق في فاعلية هذه الكلمة
- إطمئن إنها مجربة، أعطني أذنك
-

سرعان ما استرد حنا عافيته، وخرج الى الغابات مزوداً بالسلاح والمؤونة والكلمة السحرية. مرت شهور ومن بين كل الشباب الذين خرجوا للقتال ذاع صيت حنا الحداد كفارس لا يبارى في شجاعته، وتهافت عشرات الوحوش أمام الحداد القوي.

وهكذا اختفت الوحوش أو كادت! وعادت الحياة الى مجراها الطبيعي أو كادت! أرسل الشيوخ يستدعون حنا الى المدينة، حيث وجد مفاجأة مفرحة في انتظاره. فقد قرر حاكم المدينة أن يكرمه في حفل كبير يحضره عليه القوم، وعليه أن يبقى في المدينة حتى يقيم الاحتفال بتكريم "الفارس ذو القلب الحديدي". هكذا سماه الناس.

كل هذه الشهرة والتكريم! كان قلب حنا يفيض بالحبور حين التقي بمدربه المحارب العجوز

- لقد كان لتعوبتلك فعل السحر، فما أن كنت أتلوها أمام أعتى الوحوش حتى كان يتجمد مشدوهاً، وأنا أنقض عليه مطيحاً برأسه. حقاً يا مدربي، إن سرك "باتع"!
- هذه الكلمة سحرية حقاً! . ابتمس العجوز
- ماذا تقصد؟
- إنها – يا عزيزي حنا- ليست سوى كلمة قلنتها لأطمئنتك!
- ماذا؟! تجهم وجه حنا الحداد
- ابتهج يا صديقي، لقد قتلت كل هذه الوحوش بمهارتك وقوتك وسرعتك
- تعني! تعني أنه كان ممكناً لأي من هذه الوحوش أن يمزقني؟
- ولكنك انتصرت
- والكلمة السحرية!
- مجرد كلمة، لا تتفع ولا تضر!

اعتكف حنا في منزله وقد انتابه المرض، وعاودته كل مخاوفه القديمة، ورقد يشعر أن عظامه كلها قد تفككت. لكن في المساء التالي كان لا بد وأن يتماسك ليحضر الاحتفال الكبير.

انعقد الاحتفال بتكريم حنا في قاعة المدينة، ووسط تصفيق وهتاف الناس وبينما الحاكم ينعم عليه بأعلى الأوسمة، اندفع صبي صغير الى القاعة فزعاً: إن وحشاً قد اقتحم المدينة ذاتها

ساد الصمت، ونظر الجميع الى حنا في ثقة. التفت حنا الى مدربه العجوز، فرأى في عينيه نظرة عسيرة الفهم!
وفي لحظات عبرت أمام عينيه حياته كلها، وتذكر كل شيء، جيرانه الطيبين وعائلاتهم، ومروج الغابة حيث كان
يلهو طفلاً، وحلمه بالزواج ، وزهور الربيع ...
حمل حنا سلاحه في هدوء، خرج ليلاقي الوحش. انتهت المعركة في دقائق، سقط بعدها الوحش صريعاً، ولكن
بعد أن أصاب الحداد بجراح قاتلة.
واليوم يشاهد زوار المدينة الصغيرة، نصباً تذكاريّاً بسيطاً أقامه الناس وترقد أسفله رفات الحداد الطيب، وقد
كتبوا على لوح حجري عبارة اختارها المحارب العجوز:
هنا يرقد حنا الحداد – الفارس ذو القلب الحديدي – عاش شجاعاً ومات شجاعاً.